

مع الشيخ حيدر السندي

في رده على الشيخ أحمد أبو زيد العاملي حول معالم
المرجعية الرشيدة

بقلم

سلمان عبد الأعلى

مع الشيخ حيدر السندي في رده على الشيخ أحمد أبو زيد العاملي حول معالم المرجعية الرشيدة

قرأت ما كتبه الشيخ حيدر السندي رداً على ما جاء في مداخلة الشيخ أحمد أبو زيد العاملي التي قدمها في مؤتمر (الشهيد الصدر والمرجعية الرسالية) الذي عُقد بمدينة قم المقدسة، والتي تحدث فيها الشيخ العاملي عن ما أسماه بـ (معالم المرجعية الرشيدة-النسخة الأصلية)، ومراده منها هي المرجعية الرشيدة كما هي في فكر السيد الشهيد محمد باقر الصدر الذي اشتهر باستعماله لهذا المصطلح.

فلقد قدم الشيخ السندي مناقشةً ونقداً لما طرحه الشيخ العاملي في هذه الكلمة، غير أنني وبعد استماعي لكلمة الشيخ العاملي واطلاعي على ما جاء في نقد الشيخ السندي له، وقفت على بعض الملاحظات التي لا أتفق فيها مع ما طرحه الشيخ السندي، سواءً كان ذلك من ناحية المضمون الذي تضمنه نقده أو الأسلوب الذي اتبعه فيه، ولهذا أحببت أن أنظم ملاحظاتي في مناقشة كاملة تتناول ما طرحه، فلعله يطلع عليها، ويغير رأيه فيها أو في بعضها، أو لعله يرد عليّ بما يقنعني ويسهم في تغيير رأيي فيها أو في بعضها، أو لعله لا يحصل شيء من هذا وذاك، فتبقى المسألة حائرة بين وجهات النظر، ويبقى الحكم النهائي للقارئ العزيز.

ماذا قال الشيخ أحمد أبو زيد العاملي في كلمته؟

قبل أن أتناول رد الشيخ حيدر السندي على الشيخ العاملي؛ أريد أن أذكر أهم ما جاء في كلمة الشيخ العاملي حتى يتضح بعدها موارد النقد الذي قدمه الشيخ السندي له، لأن نقد الشيخ السندي هو بسبب ما جاء في كلمة الشيخ العاملي من نقد لما جاء في كتاب (معالم المرجعية الرشيدة) للسيد منير الحباز، حيث انتقد الشيخ العاملي استعمال السيد الحباز لنفس مصطلح الشهيد الصدر -المرجعية الرشيدة- بشكل يختلف عن المضمون الذي أراده الشهيد الصدر منه، حيث استعرض تحت هذا العنوان (المرجعية الرشيدة) بعض المصاديق على بعض مراجع هذا العصر ممن لا ينطبق عليهم مفهوم الشهيد الصدر لهذا المصطلح كما يقول الشيخ العاملي.

واعتراض الشيخ العاملي ونقده لهذا الاستعمال ليس من أجل مناقشة صاحب الكتاب في قناعاته الشخصية التي يؤمن بها، بل لتجنب الفوضى المعرفية التي قد تُنتج فوضى المصطلحات على حد تعبيره، إذ يقول في ذلك: "وأنا لا يهمني فعلاً أن أناقشه فيما آمن به وروج له، لأنه لكل منا قناعته في هذا المجال المفتوحة على النقاش والمسائلة، غير أنه قد ساءني جداً الترويج للمصداق الذي يؤمن به تحت عنوان المرجعية الرشيدة، وهو عنوان قد حفظت حقوق نشره المعنوية على مرجعنا الشهيد، ولو أنه اختار عنوان آخر لكان أسلم. ليست المسألة في هذا المجال مسألة تعبير لتنتفي المشاحة كما يقولون، لأن فوضى المصطلحات قد تنتج أحياناً فوضى معرفية... عندما يصبح

المصطلح مكرساً لمفهوم محدد، فعلينا أن نتجنب استهلاكه في غير ما وضع له درءاً للفوضى وحفظاً للمعنى الموضوع له من التدنيس ولو غير المتعمد".

وأردف قائلاً: "إذا كان صاحب هذه الأطروحة يستهدف تقديم مفهوم جديد مغاير لمفهوم الشهيد الصدر فليفعل، لكن رجاءً فليختر مصطلحاً آخر، وإذا احتفظ بالمفهوم الصدري واعتبر بأن من جاءت أطروحته ترويحاً له مصداقاً لهذا المفهوم، فالمسألة عندي لا تستحق عناء التفنيد، ففي الوقت الذي أشدد فيه على حقه في اعتقاده ما يشاء مفهوماً ومصدقاً، لكن فليتفهم كذلك حرصنا الشديد على صيانة مفاهيم الشهيد الصدر من التحريف ولو غير المتعمد"^١.

معالم المرجعية الرشيدة (النسخة الأصلية)

تحدث الشيخ العاملي كذلك عن أهم ملامح أو معالم المرجعية الرشيدة في نسختها الأصلية، ومراده منها كما بينا سابقاً هو المضمون الذي شكله السيد الشهيد محمد باقر الصدر لهذا المصطلح، ولقد ذكر الشيخ العاملي أهم هذه المعالم في نقاط سوف نستعرضها باختصار وتلخيص فيما يلي^٢:

^١ راجع كلمة الشيخ أحمد أبوزيد العاملي في مؤتمر الشهيد الصدر والمرجعية الرسالية على الرابط التالي: http://www.mbsadr.com/main/1-libraries/sounds/snd_video_lib/01-ara/001-mbsadr/003-lect/ahm_abz/cong_qom_2013/001.mp3

^٢ منقول باختصار و ببعض التصرف من كلمة الشيخ أحمد أبوزيد العاملي في المؤتمر.

١. ميز الشهيد الصدر بين المرجعية الرشيدة أو الصالحة وبين المرجعية الموضوعية، فالمرجعية الموضوعية مجرد آلية لوجستية اثباتية تحقق للمرجعية الرشيدة الصالحة وجودها الثبوتي، فهي تعبر عن مؤسسات ولجان عمل، والكلام كل الكلام يجب أن يقع في مرحلة متقدمة في المرجعية الرشيدة والصالحة، فقد يكون المرجع الرشيد ذاتياً غير موضوعياً، وقد يكون المرجع الرشيد موضوعياً، لكنه يكون غير رشيد وغير صالح.

٢. أفصح السيد الشهيد في بعض محاضراته عن مراده من الصلاح المأخوذ من المرجعية الصالحة، فهو يميز بين نوعين من الصلاح، صلاح ذاتي وآخر وظيفي، فالذاتي ناظر إلى سلوك المرجع الشخصي بعيداً عما يفرضه التكليف تجاه الآخرين، والوظيفي ناظر إلى وظيفته في المجتمع، وكم صالح ذاتي غير صالح وظيفياً.

٣. المرجع الرشيد بنسخته الأصلية - كما يقول السيد الشهيد في كتابه ومضات - يبحث عما يريده الإسلام ويحدد وجهته، ثم يحاول بناء الحوزة ورسم سياستها التعليمية والدراسية والمالية على أساس تلك الوجهة، ولا ينطلق من واقع الحوزة لبحث عما يريده الإسلام، لأنه سيكون حينئذ محكوماً لهذا الواقع الذي سيمثل - كما عبر في محاضراته في التفسير الموضوعي - مثلاً أعلى منخفضاً.

٤. المرجع الرشيد بنسخته الأصلية يلاحق المثل الأعلى المرتفع عن الواقع،

وإن كان الواقع مجال عمله، وحتى يقرب الواقع مما يفرضه المثل الأعلى المرتفع يتحلى بأخلاقية الإنسان العامل.

٥. المرجع الرشيد بنسخته الأصلية يتحلى كأى إنسان مؤمن آخر بأخلاقية الإنسان العامل، يفهم ما يريده الإسلام بشكل واضح، يفهم الواقع بشكل واضح، ويربط بينهما بشكل واضح، ويختار آليات وصوله إلى المثل أو المثل، وبعبارة أدق آليات تقربه من المثل أيضاً بوضوح، ومن هنا فالمرجع الرشيد يشعر بالاتصال بالله تعالى شعوراً تفصيلياً - كما يقول السيد الشهيد في المحنة - ولا يستصعب أساليب العمل الماضية، ولا ينقض غرضه من خلال التعامل الاجتماعي بعقلية رياضية.

٦. المرجع الرشيد بنسخته الأصلية - كما يقول السيد الشهيد في خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء - يستوعب رسالة السماء ثم يشرف على ممارسة الإنسان بدوره في الخلافة، ويتدخل لمقاومة الانحراف لاتخاذ كل التدابير الممكنة من أجل سلامة المسيرة.

٧. المرجع الرشيد كما في أطروحة المرجعية الصالحة يثبت جدارته قبل تصديه للمرجعية، ولا يلقي إلى الأمة إلقاءً، لأن تصديه للمرجعية نتيجة لحاجة الأمة إليه وإقبالها عليه لا سبباً.

٨. المرجع الرشيد بنسخته الأصلية يتفاعل مع أمته التي يرتبط بها بنسبة الاندماجية، ولا يوجهها بجهاز التحكم عن بعد.

٩. المرجع الرشيد بنسخته الأصلية يستغل ما أمكن من وسائل الاتصال بأتمته ولا يحتجب عنها بحجة أن الإكثار من التواصل معها يحط من شأن المرجعية، لأن الموجود في قاموس المرجع الرشيد مصلحة الإسلام لا شأن المرجع، والدمج بينهما في أكثر الأحيان وهم في وهم.
١٠. المرجع الرشيد بنسخته الأصلية يخاطب الأمة بلغتها، ويكتب لها رسالة عملية تفهمها وتناسب مستوى العصر ولغته، وهذا ما نعرفه من خلال تأليفه -أي الشهيد الصدر- لكتاب الفتاوى الواضحة.
١١. المرجع الرشيد بنسخته الأصلية يؤمن بالعمل الإيجابي القائم على دعوة الآخر وغزوه الإيجابي -ولقد قال السيد الشهيد لطلابه إني أريد أن أغزوا بكم البحار- ولا ينكفي المرجع على نفسه مكتفياً بما تؤمنه الظروف من قواعد.
١٢. المرجع الرشيد بنسخته الأصلية يكسر جليد البروتوكولات المصطنعة، ويقوم بوظيفته التي يفرضها المفهوم الإسلامي.
١٣. المرجع الرشيد بنسخته الأصلية مبادر ويؤمن بنظرية حق الاستجابة على قرار إيمانه بنظرية حق الطاعة، وهي نظرية مستمدة في إطار حق طاعة المولى في الاحتمالات وتقوم هذه النظرية -نظرية حق الاستجابة- على ضرورة استجابة المرجع لحاجات الأمة حتى تصبح المرجعية الرشيدة في كثير من الأحيان فاعلة قبل أن تكون منفعة.
١٤. المرجع الرشيد بنسخته الأصلية يعيش هم الأمة الإسلامية،

وهذا ما نلمسه جميعاً من السيد الشهيد، وأتصور بأن كل شرائح المجتمع الإسلامي تتعامل مع السيد الشهيد على أساس أنه مرجعها، على أساس أنه مفكرها، على أساس أنه أبوها.

وفي ختام استعراضه لهذه النقاط التي تعبر عن معالم المرجعية الرشيدة (النسخة الأصلية) كما جاء بها الشهيد الصدر قال الشيخ العاملي: " أحببت فقط أن أسلط الضوء على هذه الأفكار التي تشكل العمود الفقري من أطروحة المرجعية الرشيدة بنسختها الأصلية كما يراها السيد الشهيد، ما يريد أن يعتقد البعض في المرجعية فهذا شأنه، لكن نحن حريصون على أن نحافظ على مصطلح المرجعية الرشيدة لا بوصفه مصطلحاً، بل بوصفه معبراً عن ما وراء هذا المصطلح، عن هذا المفهوم الشامل الحي غير الصامت للمرجعية".

مع الشيخ حيدر السندي في رده على الشيخ العاملي

أما الشيخ حيدر السندي فلقد علق على كلام الشيخ أحمد أبو زيد العاملي في مقامين: المقام الأول: التأييد. والمقام الثاني: الملاحظات كما جاء فيما كتبه، ولا حاجة لنا في استعراض موارد التأييد والاتفاق، وسنكتفي فقط باستعراض موارد الملاحظات التي سجلها على الشيخ العاملي وسيكون لنا تعليق عليها أيضاً^٣.

^٣ قمنا بنقل كلمات الشيخ حيدر السندي كما هي بالنص دون إجراء أي تصحيح أو تعديل..

تحدث الشيخ السندي فيما أسماه بالأمر الأول من ملاحظاته قاصداً الشيخ العاملي بقوله: "أنه افترض ان اصطلاح المرجعية الرشيدة اختراع خاص للسيد الشهيد وانه اذا أطلق فلا يراد منه ولا يفهم الا المعنى الذي يقصده السيد الشهيد، وإذا أراد أحد أن يستعمل هذا اللفظ في معنى آخر او يذكر له مصداق لا يرتضيه المحاضر فان هذا يتطلب التصدي بمحاضرة كاملة للتنبيه والرد حتى لا يقع التحريف والتزوير او نكون ضحية لفوضى الاصطلاحات. وقد اعتبر مصطلح (المرجعية الرشيدة) نظير حق الطاعة من التعبيرات الخاصة بالسيد الشهيد ولا يجوز استعمالها في معنى آخر. واعتقد أن هذا كله تحمس مفرط وردة فعل بلا فعل وتحميل للموضوع مالا يحتمل".

المناقشة

■ نلاحظ هنا أن الشيخ السندي يدعي أن الشيخ العاملي (افترض بأن اصطلاح المرجعية الرشيدة هي اختراع خاص للسيد الشهيد وأنه إذا أطلق فلا يُراد منه ولا يُفهم إلا المعنى الذي يقصده السيد الشهيد)، فهل يرى الشيخ العاملي ذلك وبهذه الكيفية التي ذكرها الشيخ السندي؟! إذا كان مقصود الشيخ السندي من مفردة (اختراع خاص) أن الشهيد الصدر قد أوجد المفردات المستخدمة في هذا المصطلح من العدم، فهذا غير صحيح، لأن هذا المصطلح يحتوي على مفردتين موجودتين في اللغة العربية حتى قبل وجود الشهيد

الصدر، وأعني بهما مفردة (مرجعية) ومفردة (رشيدة)، غير أن هذا أيضاً لا يعني بأن الشهيد الصدر لم يكن له أي دور في تشكيل مصطلح له دلالة خاصة باسم (المرجعية الرشيدة)، ومرادي من الدلالة الخاصة أنه يحوي مضامين معينة أرادها الشهيد الصدر منه، فهذا الأمر موجود، ومما يدل عليه أن كل من له اطلاع -ولو بسيط- على مشروع الشهيد الصدر في المرجعية، فإنه أول ما يتبادر إلى ذهنه عند سماع عبارة (المرجعية الرشيدة) هو الشهيد الصدر ومشروعه في المرجعية الدينية، إذ لا يقتصر ذهنه فقط على الدلالة اللغوية المحضة لهذه العبارة.

■ من الواضح أن الشيخ العاملي لم يكن بصدد إنكار وجود أي دلالة أخرى لمصطلح (المرجعية الرشيدة) غير الدلالة المستفادة من الشهيد الصدر، ولكنه كان حريصاً على أن يبقى استعمال هذا المصطلح للدلالة على ما كان يريده الشهيد الصدر منه، وحرصه هذا يدل على أنه كان يدرك بأن لهذا المصطلح دلالة أخرى - ولو من باب المعنى اللغوي العام- وأنه قد يستعمل لأجلها، ولذا نجده يقول: "عندما يصبح المصطلح مكرساً لمفهوم محدد، فعلياً أن نتجنب استهلاكه في غير ما وضع له درءاً للفوضى وحفظاً للمعنى الموضوع له من التدنيس ولو غير المتعمد.." وقال كذلك: "نحن حريصون على أن نحافظ على

مصطلح المرجعية الرشيدة لا بوصفه مصطلحاً، بل بوصفه معبراً عن ما وراء هذا المصطلح، عن هذا المفهوم الشامل الحي غير الصامت للمرجعية" .. وهذه الأقوال وغيرها خير شاهد على ما ذكرناه. فهدف الشيخ العاملي إذن هو المحافظة على هذا المصطلح وتجنب استهلاكه في غير ما وضع له كما يقول، وإذا عرفنا ذلك نعرف عدم مصداقية كلام الشيخ السندي في أن الشيخ العاملي افترض أن مصطلح المرجعية الرشيدة هو (اختراع خاص للسيد الشهيد وانه اذا أطلق فلا يُراد منه ولا يُفهم الا المعنى الذي يقصده السيد الشهيد)، فأبي كلمات الشيخ العاملي تثبت صحة هذه الدعوى؟! لأن الشيخ العاملي كما هو واضح من كلماته يريد أن لا يطلق هذا المصطلح إلا على ما أراده السيد الشهيد منه، لا أنه يرى بأن هذا المصطلح بأصله وطبيعته لا يصح أن يُطلق أبداً أو أنه من المستحيل أن يراد منه أو يفهم أي معنى آخر غير المفهوم الذي أراده السيد الصدر، وذلك لأنه أحد اختراعاته الخاصة كما جاءت به التعبيرات التي استعملها الشيخ السندي، إذ أن هناك فرق بين الحالتين!!!

■ نلاحظ أيضاً أن الشيخ السندي افترض مقدمات ومن ثم توصل إلى نتيجة متناسبة مع المقدمات التي قدمها، فهو افترض أن الشيخ العاملي افترض (ان اصطلاح المرجعية الرشيدة اختراع خاص للسيد

الشهيد وانه اذا أطلق فلا يُراد منه ولا يُفهم الا المعنى الذي يقصده السيد الشهيد) ومن ثم جاءنا بهذه النتيجة أو الحكم على كلام الشيخ العاملي بقوله: "اعتقد أن هذا كله تحمس مفرط وردة فعل بلا فعل وتحميل للموضوع مالا يحتمل"، ونحن بعدما دققنا في كلامه وفي كلام الشيخ العاملي، وبيننا بعض المغالطات التي وقع فيها كما مر علينا في النقطة السابقة؛ نستطيع أن نقول عنه نفس ما قاله عن الشيخ العاملي، أي أن ما أوقعه في هذا الأمر هو تحمسه المفرط وتحمله للموضوع ما لا يحتمل...!!

ويواصل الشيخ السندي كلامه حول مصطلح المرجعية الرشيدة بقوله: "فالمركب (المرجعية الرشيدة) لم يصل في وجهة نظري الى حد لا يفهم منه الا ما أراده الشهيد رحمه الله بل هو من التعبيرات الدارجة التي يحدد السياق ما يراد منها ولهذا تجد ان كل مقلدي مرجع يطلقون على مرجعهم اسم المرجعية الرشيدة ، لان الرشد مفهوم عام له مراتب مشككة وتدخله النسبية من أبواب واسعة. ولم يتفرد باستعمال هذا التركيب السيد منير الخباز بعد الصدر بل استعمله كثيرون جدا".

المناقشة

■ أما عن قول الشيخ السندي: "المركب (المرجعية الرشيدة) لم يصل في وجهة نظري الى حد لا يفهم منه الا ما أراده الشهيد رحمه الله بل هو من التعبيرات الدارجة التي يحدد السياق ما يراد منها". فنحن نتساءل: من قال للشيخ السندي بأن مصطلح (المرجعية الرشيدة) لا يُفهم منه إلا ما أراده السيد الشهيد - رحمه الله - حتى يقول مثل هذا الكلام هذا أولاً. ثانياً إن هذا المصطلح (المرجعية الرشيدة) بلحاظ مفرداته اللغوية - كما بيناه سابقاً - له معنى عام وهو بلحاظ ما أراده السيد الصدر له خصوصية معينة، وكون ذلك - أي أن له مفهوم لغوي عام - وأن السياق يحدد ما يراد منه لا يعني بأنه قد وصل إلى درجة أصبح فيها من التعبيرات الدارجة كما يقول الشيخ السندي!!، فإمكانية استخدامه في غير ما أراده السيد الشهيد شيء، وكونه قد بلغ مرحلة أصبح فيها من التعابير الدارجة شيء آخر، وينبغي أن نميز جيداً بين الحالتين، إذ الكلام عنه بأنه من التعبيرات الدارجة يوحي للذهن بأن لا وجود لأي خصوصية له، ونحن نعلم بأن هناك ارتباطاً ذهنياً بينه وبين ما أراده السيد الشهيد بدلالة أن من لديه اطلاع على مشروع السيد الصدر فإن أقرب ما يرد إلى ذهنه عندما يسمع عبارة (المرجعية الرشيدة) هي أطروحة السيد الشهيد، ولا أدري هل أن الشيخ السندي ملتفت لهذا الأمر أم لا؟؟!

- لعل الشيخ السندي قد اشتبه عندما قال: "ولهذا تجد ان كل مقلدي مرجع يطلقون على مرجعهم اسم المرجعية الرشيدة، لان الرشد مفهوم عام له مراتب مشككة و تدخله النسبية من أبواب واسعة". إذ أن كلامه هذا غير صحيح، فمن قال بأن كل مقلدي مرجع من المراجع يطلقون على مرجعهم اسم المرجعية الرشيدة...!! ولو كان مقصود الشيخ السندي من كلامه هذا هو أن كل مقلدي مرجع يعتقدون بأن مرجعهم يمثل مرجعية رشيدة لكان كلامه أقرب إلى الصحة، أما أن يقول بأنهم كلهم يطلقون على مرجعهم هذا الاسم (المرجعية الرشيدة) وبهذا النوع من التعميم، حيث استعمل مفردة "كل" ولم يقل (بعض)، فلا أعتقد بأن ذلك صحيحاً، خصوصاً وأن الشيخ السندي لم يقدم أي أدلة أو شواهد لإثبات هذه الدعوى...!!
- من الغريب ذكر الشيخ السندي في مناقشة للشيخ العاملي بعض البديهيّات دون محاولة الربط بين كلامه وكلام الشيخ العاملي كقوله بأن الرشد مفهوم عام له مراتب مشككة، إذ نتساءل: هل ناقش الشيخ العاملي مفهوم الرشد أو مفهوم المرجعية الرشيدة من ناحية المفهوم اللغوي العام أم أنه كان يتناول المسألة من ناحية المصطلح الذي أراده السيد الشهيد رحمه الله؟! لأنه إذا كان لم يناقشها بهذا الشكل فما هي الغاية من ذكرها بالنحو الذي ذكره الشيخ السندي؟! والأمر الآخر، هل دخل الشيخ العاملي في مباحث

المفاهيم في علم المنطق كأن يكون قد أنكر بديهية من بديهياته أو حقيقة من حقائقه أو ناقش في أمر من أمورها أو خلط بين بعض المفاهيم أو وعث فيها ولم يستطع التمييز بينها، كأن يكون قد خلط بين المفاهيم الكلية والمفاهيم الجزئية، أو أن يكون قد خلط بين أنواع المفاهيم الجزئية (الجزئية الحقيقة والجزئية الإضافية) أو بين أنواع المفاهيم الكلية (المتواطئة والمشككة)، فنحن نتساءل: هل وقع الشيخ العاملي في شيء من هذا أم لا؟ وذلك لأن الشيخ السندي في رده على الشيخ العاملي نجده يؤكد لنا بأن الرشد مفهوم عام له مراتب مشككة، ولا ندري ما مناسبة ذكره لهذا الكلام وما هي الغاية المرجوة منه؟!!.

يقول الشيخ حيدر السندي متابعاً لكلامه السابق: "بل يمكن القول بانه ليس لهذا اللفظ معنى خاص أحدثه السيد الصدر بل معناه واحد في جميع الاستعمالات وهو كون المرجعية صالحة لتحقيق الأحداث الوظيفية لما تمتلكه من قابليات ومتصدية فعلا للإنجاز بحكمة ووعي تجعلنا مواكبة للمستجدات ومتطلعة لجميع الاحتياجات ، وإنما الخلاف المصدق ومقوماته، وقد أعطى الشهيد السعيد بعدا متطورا و حيويا فهذا المجال، ففي الوقت الذي نجد فيه الكثير من الباحثين يستغرق في المفهوم، ويتموضع في زاوية التنظير نجد الصدر العظيم يخلق في سماء وضع آليات التطبيق".

ويذكر الشيخ السندي كلمة للشهيد الصدر حول النظام الذي من المفترض أن تعمل به المرجعية وفق رؤيته، ولا حاجة لنقله هنا، وبعدها يقول: ((والخلاصة لم يخالف السيد الخباز في المفهوم، ولم يأخذ اصطلاحاً خاصاً لا يجوز أخذه إلا باذن من المحاضر، والنقاش في المفردات وضرب سياج بغرض التحجير ليس من البحث العلمي في شيء ما دام يستند إلى تصور خاص بالمحاضر لا أساس له)).

المناقشة

- من الغريب أن يقول الشيخ السندي بأن مفهوم (المرجعية الرشيدة) الذي استعمله الشهيد الصدر واشتهر به بأنه ليس له معنى خاص أحدثه السيد الصدر، وأن له معنى واحداً في جميع الاستخدامات على حد قوله، ومن المؤسف حقاً أن يقول ذلك دون أن يقدم لنا أية أدلة أو شواهد على كلامه، صحيح أنه نقل بعض كلمات السيد الشهيد حول الطريقة التي من المفترض أن تعمل بها المرجعية، إلا أن ما ذكره لا ينفع لئن يكون دليلاً أو شاهداً على مدعاه.
- أما عن قول الشيخ السندي بأن السيد الخباز لم يخالف في المفهوم الذي استخدمه لـ (المرجعية الرشيدة) وهو ذات المفهوم الذي استخدمه الشهيد الصدر، فيكفي ما ذكرته سابقاً، وهذا الأمر راجع إلى القارئ الفطن.. فعليه أن يتعرف على نظرة الشهيد الصدر حول

مفهوم (المرجعية الرشيدة) ويقرأ كتاب السيد الخباز (معالم المرجعية الرشيدة) ليصل بعدها إلى النتيجة التي يرتضيها لنفسه.

■ من غير اللائق بالشيخ السندي وهو رجل دين أن يستخدم بعض التعبيرات التي لا تغني ولا تسمن من جوع، فما الداعي لقوله بأن السيد الخباز لم يأخذ اصطلاحاً خاصاً لا يجوز أخذه إلا بإذن من المحاضر.. قاصداً بذلك الشيخ العاملي، فهل طالب الشيخ العاملي بأخذ الإذن منه قبل استخدام هذا المصطلح.. أم أنه عبر عن وجهة نظره التي يراها؟! والغريب من الشيخ السندي أنه بعد استعماله لهذه المفردات غير اللائقة يقول: (والنقاش في المفردات وضرب سياق بغرض التحجير ليس من البحث العلمي في شيء ما دام يستند إلى تصور خاص بالمحاضر لا أساس له).. فهل ما استعمله الشيخ السندي في بعض تعبيراته وألفاظه هو من البحث العلمي الذي يحاول أن يتخذه شعاراً له؟! أترك الإجابة للقارئ.

بدأ الشيخ السندي حديثه فيما أسماه بالأمر الثاني من ملاحظاته حول الشيخ العاملي بقوله: "يظهر من المحاضرة ان سبب ثورة المحاضر اعتبار السيد الخباز السيد السيستاني مصداقاً للمرجعية الرشيدة، لهذا ذهب المحاضر مسترسلاً في بيان مقومات المرجع الرشيد وان منها ما لا ينطبق على مرجعية الشيعة العامة والغالبية في هذا الزمان، ومن ذلك عدم الظهور العلني وعدم

مخاطبة الجمهور وتأجير ساعة في إذاعة هنا أو قناة".

وبعدها قال: "ولنا عليه ملاحظات منها:

الأولى: هو ان الرشد كما قلنا مفهوم عام به مصاديق تختلف شدة وضعفا، فقد يكون شخص أكثر رشدا من شخص في جانب ويكون الآخر ارشد منه في جانب آخر. كما ان موقفا قد يكون رشيدا في ظرف وليس كذلك في آخر ، ولو اردنا نفي الرشد لنطعن في مرجع ما على حساب مرجعية أخرى لانفتح بذلك باب واسع لاختلاف المراجع في التشخيص و ممانعة الظروف شدة وضعفا ، وبهذا نكون جاهزين لاستقبال الملاحظة الثانية.

الثانية: وهي ان المصداق الذي خالف فيه المحاضر أعني السيد السيستاني لا ينبغي الشك في انه مصداق بارز للمرجعية الرشيدة وبمجرد عدم انطباق بعض الخصوصيات التي ذكرها الصدر على مرجعيته لا يسلب منه هذا العنوان لان الخصوصيات يلحظ فيها الظروف والملابسات وهي تقديرات من الشهيد الصدر ، وتطبيقها فرع القدرة ، كما يمكن ان يعوض عنها غيرها. وانا لا ادعي العصمة لمرجعية السيد السيستاني وباب الملاحظات العقلانية في الأداء والتطبيق مفتوح ، وإنما أشجب ثورة تستهدف سلب الرشد عن مرجعية السيد السيستاني التي اعترف كبراء كل قوم بحسن أدائها وحكمتها ، والتي لم تترك شأننا عاما الا وبينت الموقف فيه، وتواصلت مع جميع الجهات الدولية والإقليمية من اجل إصلاح او ضاع الأمة".

المناقشة

■ نلاحظ أن الشيخ السندي يحاول أن يجعل الموضوع موضوعاً شخصياً وكأن الهدف منه هو الإساءة لشخص المرجع السيد علي السيستاني حفظه الله، وذلك في قوله: "يظهر من المحاضرة ان سبب ثورة المحاضر اعتبار السيد الخباز السيد السيستاني مصداقاً للمرجعية الرشيدة"، ولا أدري ما الذي أصف به هذا الأسلوب؟ فموضوع الشيخ العاملي كما هو واضح في المحاضرة لم يكن مركزاً على الشخصية، بل كان استنكاره لصاحب كتاب (معالم المرجعية الرشيدة) أنه استعمل مفهوم السيد الشهيد محمد باقر الصدر، وجعل أحد مصاديقه أحد المراجع الذين لا ينطبق عليهم مفهومه، ولم يكن الموضوع لمناقشة عبارة (المرجعية الرشيدة) من ناحية لغوية عامة، أو لمناقشة إن كانت مرجعية السيد السيستاني مرجعية رشيدة بالمعنى اللغوي العام أو لا. ولهذا كان من المفترض على الشيخ السندي وهو يريد أن يناقش الشيخ العاملي أن يلتفت إلى هذه النقطة جيداً، وهي في صحة كون مرجعية السيد السيستاني - حفظه الله - مصداقاً للمرجعية الرشيدة ليس بالمعنى اللغوي أو العرفي العام، بل بالمفهوم الذي قصده الشهيد الصدر، فبدلاً من أن يشرق ويغرب بهذا الشكل كان عليه تحديد كلامه وتركيزه حول هذه النقطة، وعدم جعله مركزاً على المعنى العام لهذا المفهوم.

- إن تركيز الشيخ السندي على الرشد بالمفهوم العام ليس في محله، لأن كلام الشيخ العاملي ليس في الرشد بالمفهوم العام وإنما بالرشد المضاف لمفردة المرجعية (المرجعية الرشيدة) في فكر الشهيد محمد باقر الصدر، وإلا فإن ما ذكره في الرشد بالمفهوم العام وبأن له مصاديق تختلف شدة وضعفاً، وأنه قد يكون الشخص أكثر رشداً من شخص في جانب والآخر أرشد منه في جانب آخر وغيرها من الأمور، فلا خلاف حوله وهو خارج عن محور النقاش.
- إن كلام الشيخ العاملي ومناقشته لصاحب كتاب (معالم المرجعية الرشيدة) ليس لنفي الرشد بالمعنى اللغوي العام على مرجع ما لحساب مرجعية أخرى كما يقول الشيخ السندي، وإنما لأجل استعماله لمفهوم استعماله الشهيد الصدر لمضمون معين يعتقد الشيخ العاملي بعدم صحة انطباقه عليه.
- إن الشيخ العاملي لم يناقش أو يشك أو يشكك في كون السيد السيستاني مصداقاً للمرجعية الرشيدة بمعناها اللغوي العام، وإنما كان كلامه مركزاً حول المرجعية الرشيدة في فكر السيد الصدر، فهل السيد السيستاني - حفظه الله - مصداقاً للمرجعية الرشيدة بالمفهوم والكيفية التي يريد بها الشهيد الصدر من هذا المصطلح؟ إذ حول هذه النقطة يفترض أن يكون الحوار.
- قلنا وكررنا فيما سبق وأكثر من مرة بأن الشيخ العاملي كان يتحدث

عن المرجعية الرشيدة بمفهوم الشهيد الصدر لها، لا بالمفهوم العام لها، ولهذا فهو لم يسلب الرشد عن مرجعية السيد السيستاني كما يحاول أن يوحي بذلك كلام الشيخ السندي في قوله قاصداً الشيخ العاملي: "وإنما أشجب ثورة تستهدف سلب الرشد عن مرجعية السيد السيستاني التي اعترف كبراء كل قوم بحسن أدائها وحكمتها، والتي لم تترك شأنًا عامًا إلا وبينت الموقف فيه" هذا أمر. والأمر الآخر والذي يتضح فيه عدم دقة الشيخ السندي في كلامه (بأن مرجعية السيد السيستاني حفظه الله قد اعترف كبراء كل قوم بحسن أدائها وبحكمتها) ووصفها بأنها (لم تترك شأنًا عامًا إلا وبينت الموقف فيه). ولا أدري كيف يستطيع أن يعمم الشيخ السندي كلامه بهذه الطريقة؟! حيث أنه استعمل لفظة (كل) في حين نجد أن الكثير من الشيعة أنفسهم - من التيارات الأخرى - يشكك في حسن أداء وحكمة هذه المرجعية فما بالك بغيرهم؟! وكلامي هذا ليس من أجل الموافقة على هذا الكلام أو الإساءة للسيد السيستاني حفظه الله بل من أجل إثبات عدم دقة الشيخ السندي فيما قاله، كذلك نجد الكثير من الذين ينقدون مرجعية السيد السيستاني حفظه الله ينقدونها في كونها على حد تعبيرهم بأنها لا تتكلم في الكثير من المواقف التي يعتقد هؤلاء بأنها بحاجة لاتخاذ موقف معين فيها، وبأقي الشيخ السندي ويتجاهل كل هذا الكلام ويعمم بهذه الطريقة دون أن يقدم

لنا أية أدلة أو براهين على ما يدعيه.. فيا للعجب!!

أما في الأمر الثالث فتحدث الشيخ السندي بقوله: "تحدث السيد الخباز عن نظرية السيد الصدر وبين معالمها العامة بنحو من الاختصار، ثم بين أنها محل تأمل عند البعض ولم يبين رايه فيها ثم ذكر انه يريد الحديث عن المرجعية القائمة فعلا. فقام المحاضر بنقل كلام للسيد الشهيد يرتبط بالانهزامية للواقع والرضوخ له، ولست ادري ما العلاقة بين الكلامين!".

ومن ثم أردف بقوله: "هناك فرق بين ان تركز الى الواقع وترفض التغيير والتطوير وتكون مستسلما له من باب حب الراحة وسد الباب الذي يات منه الريح ، وبين ان تقدر امكانياتك وتبذل الجهد وتسلك جميع السبل المتاحة ولا تقفز على واقعك في مقام التغيير والعمل الإصلاحى. فالأول هو الانهزامية واما الثاني فهو تقدير حكيم يتوازن فيه التخصيط والعمل مع الواقع المتاح كمقدمة لتغيير الظروف، وهذا ما نعتقد قيام المرجعية الرشيدة للسيد السيستاني حفظه الله به وهو يصب في صميم نظرية الشهيد السعيد رحمه الله".

ومن ثم وصل إلى هذه النتيجة قائلًا: "وبهذا يتضح ان ما طرحه السيد الخباز كان تجسيدا لنظرية الشهيد الصدر ذات المفهوم المتأرجح والتي تنطبق

بامتياز في خطوطها العامة مع أداء المرجعية العليا في النجف، ويتضح أيضاً أن محاضرة العاملي كانت من أجل إثبات براعة اختراع لمفردة وإضافة مصطلح الى قاموس، وتستهدف سلب الرشد عن المرجعية العليا بأسلوب إنشائي محض".

المناقشة

- ليس في كلام الشيخ العاملي ما يشير إلى أن من يقول بالمرجعية الرشيدة، فإن عليه أن لا يقدر الظروف والإمكانات المتاحة، بل إن الشيخ العاملي وضع في كلامه آليات للعمل وفق الرؤية التي يتبناها الشهيد الصدر، وهي تتضمن في مجملها بعض الإمكانات المتوفرة والمتاحة، والتي من الممكن على المرجعية إتباعها والعمل على وفقها.
- يحاول الشيخ السندي أن يقنعنا بأن أحد مصاديق المرجعية الرشيدة التي أرادها الشهيد الصدر متحققة في السيد السيستاني حفظه الله مع أنه من الواضح أن بين السيدين اختلافاً كبيراً في الرؤية وفي العمل.. وبغض النظر عن من هو المصيب ومن هو المخطئ؛ إلا أن ما ندرکه هو أن رؤية السيد السيستاني ليست كرؤية الشهيد الصدر، ولو كانت المقارنة بين رؤية السيد الخوئي قدس سره ورؤية السيد السيستاني حفظه الله لكان ذلك منطقياً أكثر نظراً للتشابه فيما بينهما.

- تساءل الشيخ السندي عن العلاقة بين كلام السيد الخباز وكلام

الشهيد الصدر الذي نقله الشيخ العاملي، والذي يتحدث فيه الشهيد الصدر عن ما يرتبط بأخلاقية الانحزام.. ونحن سنجيبه على تساؤله هذا بعد استعراضنا لما نقله الشيخ العاملي عن السيد الخباز وعن السيد الشهيد محمد باقر الصدر، ولنرى بعدها إذا كان بين الكلامين علاقة أم لا كما حاول أن يصور الشيخ السندي.

نقل الشيخ العاملي عن السيد الخباز أنه قال: "لقد طرح السيد الشهيد رأيه في تطوير المرجعية من الفرد إلى المؤسسة، بمعنى أن هناك مؤسسة تدير أمور المسلمين في العالم كله، ولهذه المؤسسة أجهزة...". إلى أن قال: "وهذا المشروع الذي طرحه السيد الشهيد قدس سره وقع موقع المناقشة والتأمل من قبل بعض الفقهاء، مضافاً لعدم مساعدة الظروف الموضوعية على تطبيقه حتى الآن، ونحن نتحدث فعلاً عن منصب المرجعية بواقعه الفعلي". انتهى نص كلامه.

ومن ثم بين بأنه لن يدخل في مناقشة هذه الأطروحة، بل سيكتفي بالتعليق عليها بنص للشهيد الصدر يقول فيه: ((إن الأمة حال تعرضها للهزيمة النفسية وفي حالة فقدانها لإيرادتها، وعدم شعورها بوجودها كأمة، تنشأ لديها تدريجياً أخلاقية معينة كأخلاقية الهزيمة، وأخلاقية هذه الهزيمة تصبح قوة كبيرة جداً بيد صانعي هذه الهزيمة لإبقاء هذه الهزيمة وتعميقها وتوسيعها، فيصبح

الإقدام تهوراً، ويصبح الاهتمام بما يقع على الإسلام والمسلمين من مصائب ومحن نوعاً من اللاعقانية، وأخلاقية الهزيمة هذه تصنعها الأمة لتصوغ الهزيمة، وتشعر بأنها قد انتهت مقاومتها وقرأت عليها الفاتحة، فتنسج مفاهيم جديدة غير مفاهيمها الأولى، وتبنى قيماً وأهدافاً غير التي كانت تتبناها أو لكي تبرر موقفها أخلاقياً ومنطقياً، لأنها لا تشعر بكرامتها)). انتهى نص السيد الشهيد.

بعد ذلك نستطيع أن نقول للشيخ السندي بأن ما يريد أن يقوله الشيخ العاملي هو أن كلام السيد الخباز - في أن الظروف الموضوعية لم تساعد على تطبيق مشروع المرجعية الدينية الذي قدمه الشهيد الصدر - ليس واقعياً بقدر ما هو تبرير يقدمه البعض نتيجة إصابته بأخلاقية الهزيمة التي تحدث عنها الشهيد الصدر في كلماته، فهل سيتضح الربط بين الكلامين للشيخ السندي الآن أم لا؟؟!

■ بعد كل الذي نقلناه في المناقشات السابقة يتضح لنا المغالطات التي وقع فيها الشيخ السندي، ولا حاجة لتفصيل الرد حول قوله: "ان محاضرة العاملي كانت من اجل إثبات براعة اختراع لمفردة وإضافة مصطلح الى قاموس ، وتستهدف سلب الرشد عن المرجعية العليا بأسلوب إنشائي محض"، فلقد ناقشنا سابقاً مراد الشيخ العاملي من مفهوم (المرجعية الرشيدة)، وأنه لا يعني

بها المرجعية الرشيدة بمعناها اللغوي العام، بل يقصد بها (المرجعية الرشيدة) كما هي في فكر السيد الصدر، ولهذا يكون قول الشيخ السندي بأن الشيخ العاملي يستهدف سلب الرشد عن المرجعية العليا هو نوع من التجني على الشيخ العاملي، وحرف لمسار كلامه عن مواضعه، ولا أدري لماذا يصر الشيخ السندي على هذا المعنى ويكرره أكثر من مره في النقد الذي قدمه للشيخ العاملي!!؟

كلمة الختام..

ليس هدي من كتابة هذا الموضوع هو التبرص بالشيخ السندي أو محاولة الإساءة له والعياذ بالله، وإنما هي ملاحظات أسجلها هنا لأفتح باب الحوار معه حولها، وذلك لأنني أعتقد بأنه قد جانب الصواب فيها، فهذا هو كل ما في الموضوع لا أكثر ولا أقل.